العامية والفصيحة

بحث نادي دار العلوم في ٢٧ فبراير الماضي في ماهية العربية العامية فألقى حضرة العالم الشيخ مصطفى جومري خطبة نفيسة في هذا الموضوع وقال ان كلامهُ مقصور على اللغة المعروفة عند العامة المصريين وهي عربية صحيحة والمحرف منها قليل وكذا الدخيل وربما لا يبلغ مقدارهما خمساً في المئة من مجموع الفاظهم . وذكر مئتين من الفاظ العامة التي يهملها الكتاب زاعمين انها مبتذلة مع انها عربية فصيحة واستشهد على صحتها بكتب متن اللغة وباستعمالها في القرآن والحديث واشعار العرب الموثوق بعربيتهم ثم قال

" ثبت مما سبق ان الالفاظ التي يستعملها الفلاحون وتلقيناها عن آبائنا عربية فصيحة تصلح للتحرير ولكن التحرز منها وهم قديم تأصل في النفوس لما سمع انها مبتذلة . وقد ذكر رجال العلم ان من شروط الفصاحة والبلاغة عدم الغرابة قال صاحب المثل السائر ان الالفاظ العامة فصيحة وان الابتذال راجع لركاكة التركيب والفصاحة والبلاغة لحسن السبك وهذا هو المعبَّر عنهُ بالسهل الممتنع . فالالتجاء الى الغريب قصور وكان المرء اذا عجز عن ان يسلب الالباب بسحر الجلال اخذ يقرب عليهم بما لا يعلمون وهذا هو السبب القديم في شيوع هذه الفكرة بينا . وقد نص عظماء البلاغة كعبد القاهر الجرجاني والجاحظ وصاحب المثل السائر ان الالفاظ لا تبتذل لاستعمال العامة لها وان استعمال الغريب عيب فاحش "

ثم قال "وقد اوغل ابن السبكي في خطبة كتابه عروس الافراح فمدح المصريين بانهم اعلم بالبلاغة من غيرهم فقال ما نصهُ بالحرف الواحد

" اما اهل بلادنا (يعني المصريين) فهم مستغنون عن ذلك (اي عن فنون البلاغة) بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي ارق من النسيم والطف من ماء الحياة في الحيا الوسيم . اكسبهم السير تلك الحلاوة واشار اليهم فظهرت عليهم تلك الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما اشتد فيه العلماء فضلاً عن الاعمار الاعمار ويرون في مرآة قولهم العقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلفَ فيهِ صيقل بطباعهِ لم يتضع بصقالـــهِ "

وبعد ان اسهب الخطيب في هذا الموضوع اشار بجمع قاموس يشمل كل الالفاظ العامية الصحيحة ويدرس في المدارس وقال ان خلاصة هذه المباحث

(١) اللغة العامية فيها الاصول الضرورية لمعاشنا

(٢) الدخيل لا يبلغ ٥ في المائة وكنا نحرف تحريفاً بيناً

(٣) اللغة العامية تبلغ صوفا وما قاربها خمسة آلاف كلمة على اقل تقدير وربما وصلت ثمانية آلاف في الفيروزبادي

(٤) العامة يعدون البليغ ما كان غريباً لانهم يخضعون لما يجهلون والمتوسطون يشقون سبك النظم ويتبذون الغريب والحكماء يرون مع ذلك ما هو ادق في المعنى وانفع للام

(٥) غلبت الفكرة العامية قديماً فنبذ الناس ما ينطق به العامة

(٦) اللحن والدخيل والتحريف جعلنا نظنها كلها لغة فاسدة ولا يحكم على فساد الكل بالبعض ولا على فساد الجوهر بالعرض

(٧) ردت الفاظ اهل بلادنا في القرآن والحديث وكلام العرب فليست مبتذلة

(٨) الحاجة ماسة اليها والامة تتكلم بها فمن العبث نبذها

(٩) تحقق ان الفصيح والبليغ ما عرفهُ الناس الذين تخاطبهم اذا سبكتهُ بنظم عجيب واسلوب غير غريب

(١٠) من اغرب في الكلمات فلا هو فصيح ولا بليغ انما يحفظ الفاظاً من اللغة وهذا ليس بشيء

(١١) يجب ان تستوعب الفاظ العامة (وتجمع في قاموس) ليستعان بها على امور الحياة وتزيد عليها ما تمس اليهِ الحاجة

(١٢) كلامنا خاص بلغة التخاطب واذ ذاك لا يقال عربية وعامية بل تكون كلها عربية صحيحة مع ادخال الاعراب على سبيل التدريج واصلاح المحرف واستبدال الدخيل بقدر الامكان

(١٣) ينشر هذا القاموس بين الطبقات المتعلمة حتى تدخل ملكة اللغة بالتدريج فيكتفي بهِ الناس في اعمالهم ومن كان مختصاً بفن زاد لاجلهِ من اللغة ما شاء من اصطلاحهِ وعالم البلاغة واللغة يجب ان يزيدا من اللغة العربية ما شاءا ان يزيدا

(١٤) يراعى في القاموس الذي ينشر الا يذكر نباتاً في بلادنا المصرية ولا حيواناً ولا غيرهما ولا صفة من صفاتها الا وصفهُ ورسمهُ والغفلة عن ذلك عيب فاضح

(١٥) يجب ادخال كلمات ذلك القاموس في محاورات صغيرة لما يحيط بنا من الامور الخارجية حتى يعرف ابناؤنا احوال الحياة والتعبير عنها

(١٦) اذا شرع في هذا العمل اليوم فلا يمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير وتزول تلك الوصمة ويخرج جيل عالم باللغة عالمٌ باصول الحياة